

# بُلُوغُ الْأَرَبِ فِي مَعْرِفَةِ أَسْمَاءِ الْأَعْيَانِ

تأليف  
السيد محمود رشدي الأوسلي  
البغدادى

عُني بشرح د. توفيق حبيب وضم إليه  
محمد بهجت الأثرى

دار الكتب العلمية  
بيروت - لبنان



0091296

Bibliotheca Alexandrina

\_\_\_\_\_

051

30712

909.049

27

د غ د

ج

٧١



بُلُوغُ الْأَرْبَعِ  
فِي مَعْرِفَةِ أَسْمَاءِ الْعَرَبِ

1. The first part of the report is a general introduction to the subject of the study. It discusses the importance of the study and the objectives of the research. It also provides a brief overview of the methodology used in the study.

2. The second part of the report is a detailed description of the study area. It includes information about the location of the study area, the population of the study area, and the characteristics of the study area. It also discusses the data sources used in the study.

3. The third part of the report is a detailed description of the results of the study. It includes information about the findings of the study, the conclusions drawn from the findings, and the implications of the findings. It also discusses the limitations of the study and the need for further research.

4. The fourth part of the report is a conclusion and recommendations. It summarizes the findings of the study and provides recommendations for future research. It also discusses the implications of the findings for policy and practice.

# بلوغ الأرب

## في معرفة أحوال العرب

الهيئة العامة لكتبة الإسكندرية	
رقم الكتاب	353.04927
تاريخ	ب.ع.ب
ملاحظات	١/٢٦٥٦٨

تأليف  
السيد محمود شكري الألوسي  
البتفاديني

عني بشرحه وتصحيحه وضبطه  
محمد بهجت الأثري



General Organization Of the Alexandria Library (GOAL)

Bibliotheca Alexandrina

الجزء الأول

دار الكتب العلمية

سببوت - البستان

جميع الحقوق محفوظة

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله العلى الشأن ، العظيم السلطان ، صرف الدهور بقدرته والأكوان ، وأبهرت حكمته العقول والأذهان ، يخلق ما يشاء كما يشاء ، من غير تعريف ولا بيان . والصلاة والسلام على رسوله محمد الذى استخلصه من أفضل المعادن منبتاً ، وأعز الأرومات<sup>(١)</sup> مغرساً ، فكان سيد ولد عدنان وقطان ، وهو النبي الأمي ، العربي الهاشمي ، الذى أنقذنا بنور وجوده من ظلمات جهل الجاهلين إلى ذروة الفضل والعرفان ، وعلى آله وأصحابه هداة كل حيران ، الفصحيين عن الحق المبين ، بأفصح لسان ، وأعذب بيان ، والمتفحصين عن أحوال الأمم الغابرين ، ليزدادوا إيماناً على إيمان ، وعلى من تبهم بإحسان ، ما تعاقب الملوان<sup>(٢)</sup> ، وكرّ الجديدان<sup>(٣)</sup> .

(أما بعد) : فإن العبد الفقير ، إلى لطف مولاه العزيز ، محمود شكرى ابن عبد الله بن محمود الألوسى البغدادى ، كان الله تعالى له خير معين ، وأحسن هادى ، ووفقه سبحانه لشكر مزيد النعم والأيادى . يقول : لا يخفى على من عرف أحوال الأمم ، ووقف على ما كان عليه أجيال بنى آدم ، أن أمة العرب على اختلافها ، وتفاوت أصولها وأصنافها ، كانت ممتازة على غيرها من الناس ، متقدمة فى الفضائل والمآثر على سائر الأنواع والأجناس ، فإن الله تعالى قد شرفها برسوله ، وفضلها بتزيله ، وخصها بالخطاب المعجز ،

(١) الأرومة بالفتح وتضم : الأصل

(٢) الملوان : الليل والنهار أو طرفاهما

(٣) الجديدان : الليل والنهار

واللفظ البليغ الموجز<sup>(١)</sup> ، والسؤال الشافي ، والجواب الكافي ، فالعرب أمراء الكلام ، ومعادنت العلوم والأحكام ، وهم ليوث الحرب ، وغيوث الكرب والرغد<sup>(٢)</sup> في التجذب ، وهم أهل الشئمة<sup>(٣)</sup> والحياء ، والكرم والوفاء ، والمروءة والسخاء ، أحكمتهم التجارب ، وأدبتهم الحكمة فقصوا منها المآرب ، ذلت ألسنتهم بالوعد ، وانبسطت أيديهم بالإيجاز<sup>(٤)</sup> ، فأحسنوا المقال ، وشفعوه بحسن الفعال ، ولبسوا من المجد ثوباً سندسى الطراز<sup>(٥)</sup> ، يفسلون من العار وجوهاً مسودة ، ويفتحون من الرأي أبواباً منسدة ، كأنّ الفهم منهم ذو أذنين ، والجواب ذو لسانين . يضربون هامات الأبطال ، ويعرفون حقوق الرجال ، إلى أن تلاعبت بهم أيدي الأقدار ، وتفرقوا في أقصى الأنحاء والأقطار ، وإنى لم أزل أتشوق للوقوف على آثارهم ، والاطلاع على شريف سيرهم وأخبارهم ، وأتمنى أن أظفر بكتاب يشتمل على أحوالهم قبل الإسلام ، ويحتوى على ما كانوا عليه في جاهليتهم من العوائد والأحكام ، فلم أر ذلك فيما بين الأيدي من الكتب والجامع ، ولا أنه قد طرق باب سمع من المسامع ، مع أنّ المتقدمين ، من علماء المسلمين ، لم يهملوا مثل هذا المهم ، ولم يتركوا قولاً لقائل في كل علم ، وهم الذين امتدّ باعهم في جميع الفنون ، وحسنت مآلهم الظنون . غير أنّ مرور الأعصر والأعوام ، أدى بآثارهم إلى الضياع ، وأودى بها في سائر البقاع ، وكان كثيراً ما يختلج في القلب ،

(١) الموجز : القصير السريع الوصول الى الفهم ، يقال وجز اللفظ بالضم وجازة فهو وجيز ويتعدى بالحركة والهمزة فيقال وجزته من باب وعد واوجزته وبعضهم يقول وجز في كلامه واوجز فيه ايضاً (٢) الرغد بالكسر العطاء والصلة : والجذب : المحل (٣) الشئمة : الغريزة والطبيعة والجبلة وهى التى خلق الانسان عليها والمراد بها ههنا الاخلاق الحسنة (٤) يقال نجز الوعد نجراً : تعجل ويعدى بالهمزة والحرف فيقال انجزته ونجزت به اذا عجلته (٥) سندسى الطراز السندس بالضم رقيق الديباج معرب والطراز بالكسر علم الثوب معرب .

ويخطر بالبال ، أن أتطفل بجمع كتاب يستوعب أحوالهم على سبيل الإجمال ،  
غير أن قلة البضاعة تصدني عن الإقدام ، وتثبطني<sup>(١)</sup> عن طرُق باب هذا المرام ،  
حتى اتفق بعض الدواعي التي لم أر للتخلف عنها سبيلا ، ولم أجد للإعراض  
عن هذا الغرض مقيلا ، فشرعت في المقصود ، وبذلت فيه غاية المجهود لما  
يترتب على ذلك من المصالح العمومية ، وما يستنتجه إن شاء الله تعالى من  
الفوائد الكلية ، وقد التزمتُ طريق الاختصار ، وتجنبت عن التطويل والإكثار ،  
ومع ذلك فإني معترف بالقصور والنقصان ، وإني لست من فرسان هذا الميدان ،  
ولله تعالى درّ الأقدار ، فإنها تسوق المرء إلى ما ليس له فيه اختيار .

إن المقادير إذا ساعدت ألحقت العاجز بالحازم

( وقد سميت ) ما جمعته وكتبته في هذا الباب وحررته : « بلوغ الأرب ،  
في معرفة أحوال العرب » ومن الله تعالى أستمد الإعانة والتوفيق ، والهداية  
إلى أقوم طريق ، وما توفيق إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

مقدمة الطبعة الأولى سنة ١٣١٤

---

(١) ثبطه عن الأمر عوقه وبطأ به عنه كثبطه فيهما

## تعريف العرب وبيان أنواعهم وأقسامهم

العرب جيل من الناس لم يزلوا موسومين<sup>(١)</sup> بين الأمم بالبيان في الكلام ،  
والقصاحة في النطق ، والدلاقة<sup>(٢)</sup> في اللسان ، ولذلك سموا بهذا الاسم فإنه  
مشتق من الإبانة ، لقولهم أعرب الرجل عما في ضميره إذا أبان عنه ، ومنه قوله  
صلى الله تعالى عليه وسلم : « الثيب تُعَرَّبُ عن نفسها » والبيان ستمهم بين الأمم  
وستمر بك قصة كسرى لما طلب من خليفته على العرب النعمان بن المنذر أن  
يوفد عليه من كبرائهم وخطبائهم من رضى لذلك فاختر منهم وفداً أوفده  
عليه ، وكان من خبره واستغراب ما جاؤا به من البيان ما هو معروف ، وهم أمة  
قديمة فقد كانوا بعد الطوفان وعصر نوح عليه السلام في عاد الأولى وثمود والمالقة  
وطسم وجديس وأميم وجرهم وحضرموت ومن ينتمى إليهم من العرب العاربة  
من أبناء سام بن نوح ، ثم لما انقرضت تلك العصور وذهب أولئك الأمم وأبادهم<sup>(٣)</sup>  
الله تعالى بما شاء من قدرته وصار هذا الجيل في آخرين ممن قرب نسبهم  
من حمير وكهلان وأعقابهم من التبابعة ومن إليهم من العرب المستعربة من أبناء  
عابر بن شالخ بن أرغشذ بن سام ، ثم لما تطاولت تلك العصور وتماقبت وكان  
بنو شالخ بن عابر أعالي من بين ولده واختص الله تعالى بالنبوة منهم إبراهيم بن  
تارخ وهو آزر بن ناحور بن ساروخ بن أرغو بن فالغ وكان من شأنه مع نمرود  
ما قصه القرآن ثم كان من هجرته إلى الحجاز ما هو مذكور وتخلف ابنه إسماعيل مع  
أمه هاجر بالحجر قرباناً<sup>(٤)</sup> لله تعالى ومرت بها رفقة من جرهم في تلك المفازة  
فخالطوها ونشأ إسماعيل بينهم وربى في أحيائهم وتعلم لغتهم العربية بعد أن كان

(١) موسومين السمة العلامة (٢) الدلاقة : البلاغة في المنطق (٣) إبادهم :  
اهلكهم (٤) قرباناً بالضم ما يتقرب به الى الله تعالى من ذبح وغيره وهو فعلان  
من القرية .

أبوه أجمعيا ، ثم كان بناء البيت كما قصه القرآن ثم بعثه الله تعالى إلى جرحم والمالقة الذين كانوا بالحجاز فأمن كثير منهم واتبعوه ثم عظم نسله وكثر وصار أباً لجيل آخر من ربيعة ومضر ومن إليهم من إيباد وعكّ وشعوب نزار وعدنان وسائر ولد إسماعيل وهم العرب التابعة للعرب ، ثم انقرض أولئك الشعوب في أحقاب طويلة وانقرض ما كان لهم من الدولة في الإسلام وخالطوا المعجم بما كان لهم من التغلب عليهم ففسدت لغة أعقابهم في آماذ<sup>(١)</sup> متطاولة وبقي خلفهم أحياء بادين<sup>(٢)</sup> في القفار والرمال والخلاء من الأرض تارة والعمران تارة وقبائل المشرق والمغرب والحجاز واليمن وبلاد الصعيد والنوبة<sup>(٣)</sup> والحبشة وبلاد الشام والعراق والبحرين وبلاد فارس والسند وكرمان وخراسان أم لا يأخذها الحصر والضبط قد كثروا أم الأرض .

وقد حصر ابن خلدون في كتاب « العبر » أجيال العرب من مبدأ الخليقة إلى عهده في أربع طبقات متعاقبة ، وذكر ما كان في كل طبقة منها من عصور وأجيال ودول وأحياء وبدأ أولاً بذلك :

### الطبقة الأولى

وهي العرب العاربة وذكر أنسابهم ومواطنهم وما كان لهم من الملك والدولة وسمى أهل هذا الجيل العرب العاربة إما بمعنى الراسخة في العروبية كما يقال : ليل أليل وصوم صائم . أو بمعنى الفاعلة للعروبية والمبتدعة لها بما كانت أول أجيالها وقد تسمى البائدة أيضاً بمعنى الهالكة لأنه لم يبق على وجه الأرض أحد من نسلهم ، ثم :

---

(١) آماذ جمع امد محرقة ، قال الراغب في المفردات : يقال باعتبار الغاية والزمان عام في الغاية والمبدأ ويعبر به مجازاً عن سائر المدة ، والآمد المنتهى من الأعمار .

(٢) بدا القوم بداء خرجوا إلى البادية .

(٣) النوبة بالضم بلاد واسعة للسودان بجنوب الصعيد منها بلال الحبشى .

### الطبقة الثانية

وهم العرب المستعمرية من بنى حمير بن سبأ وذكر أنسابهم وما كان لهم من الملك والدولة باليمن في التبابعة وأعقابهم وإنما سمي أهل هذه الطبقة بهذا الاسم لأن السمات والشعائر العربية لما انتقلت إليهم ممن قبلهم اعتبرت فيها الصيرورة بمعنى أنهم صاروا إلى حال لم يكن عليها أهل نسبهم وهى اللغة العربية التى تكلموا بها فهو من استفعل بمعنى الصيرورة من قولهم : استنوق الجمل واستحجر الطين . وأهل الطبقة الأولى لما كانوا أقدم الأمم فيما يعلم جيلا كانت اللغة العربية لهم بالأصالة وقيل العاربة ، ثم ذكر :

### الطبقة الثالثة

وهم العرب التابعة للعرب من قضاة وقحطان وعدنان وشعبيها العظيمين ربعة ومضر وبدأ بقضاة وأنسابهم وما كان لهم من الملك البدوى فى آل النعمان بالحيرة والعراق ومن زاحمهم فيها من ملوك كندة بن حجير آكل المزار<sup>(١)</sup> ، ثم ما كان لهم أيضاً من الملك البدوى بالشام فى بنى جفنة بالبقاء والأوس والخزرج بالمدينة النبوية ، ثم عدنان وأنسابهم وما كان لهم من الملك بمكة فى قريش ، ثم ما شرفهم الله تعالى به وجيل الأدميين أجمع من النبوة وذكر الهجرة والسيرة النبوية وغير ذلك ، ووجه تسمية هذا الجيل بذلك الاسم ظاهر ، ثم ذكر :

### الطبقة الرابعة

وهم العرب المستعجمة ومن له ملك بدوى بالمغرب والمشرق ، وسموا بذلك لاستعجم لغتهم على اللسان المضرى الذى نزل به القرآن وهو لسان سلفهم وقد أطنب رحمه الله تعالى الكلام فى ذكر هذه الطبقات الأربع حيث كانت موضوع

(١) المزار بالضم شجر مر من أفضل العشب واضخمه اذا اكلتها الابل قلصت مشافرها فبدت اسنانها ولذلك قيل لجد امرىء القيس آكل المزار لكشر كان به والناس يقرؤنه بالكسر وهو غلط فتنمه .

كتابه ومدار بحثه وهذا الكتاب مما تداوله الأيدي فلا حاجة في إتعاب البنان  
بنقل ما ذكره .

\*\*\*

### تعريف من يطلق عليه لفظ العرب

إن لفظ العرب في الأصل اسم لقوم جمعوا عدة أوصاف : أحدها أن لسانهم  
كان اللغة العربية . الثاني أنهم كانوا من أولاد العرب . الثالث أن مساكنهم  
كانت أرض العرب وهي جزيرة العرب التي هي من بحر القلزم إلى بحر البصرة  
ومن أقصى حجر باليمن إلى أوائل الشام بحيث كانت تدخل اليمن في دارهم  
ولا تدخل فيها الشام ، وفي هذه الأرض كانت العرب حين المبعث وقبله فلما جاء  
الإسلام وفتحت الأمصار سكنوا سائر البلاد ومن أقصى المشرق إلى أقصى  
المغرب وإلى سواحل الشام وأرمينية وهذه كانت مساكن فارس والروم والبربر  
وغيرهم ، ثم انقسمت هذه البلاد قسمين منها ما غلب على أهله لسان العرب حتى  
لا تعرف عامتهم غيره أو يعرفونه وغيره مع ما دخل في لسان العرب من اللحن  
وهذه غالب مساكن الشام وعراق ومصر والأندلس ونحو ذلك وأرض فارس  
وخراسان كانت هكذا قديماً ومنها ما العجمية كثيرة فيهم وغالبة عليهم كبلاد  
الترك وخراسان وإرمينية وأذربيجان ونحو ذلك فهذه البقاع انقسمت إلى ما هو  
عربي ابتداء وإلى ما هو عربي انتقلاً وإلى ما هو عجمي ، وكذلك الأنساب ثلاثة  
أقسام : قوم من نسل العرب وهم باقون على العربية لساناً وداراً أو لساناً لا داراً  
أو داراً لا لساناً ، وقوم من نسل العرب بل من نسل بني هاشم ثم صارت العربية  
لسانهم ودارهم أو أحدها ، وقوم مجهولو الأصل لا يدرون أمن نسل العرب هم  
أم من نسل العجم وهم أكثر الناس اليوم سواء كانوا عرب الدار واللسان  
أو في أحدها ، وكذلك انقسموا في اللسان ثلاثة أقسام : قوم يتكلمون بالعربية لفظاً  
ونعمةً وقوم يتكلمون لفظاً لا نعمةً وهم المتعربون الذين لم يتعلموا اللغة ابتداءً

من العرب وإنما اعتادوا غيرها ثم تعلموها كغالب أهل العلم ممن تعلم العربية وقوم لا يتكلمون بها إلا قليلا وهذان القسمان منهم من تغلب عليه العربية ومنهم من تغلب عليه المعجمة ومنهم من قد يتكافأ في حقه الأمران إما قدرة وإما عادة .

\*\*\*

### الفرق بين العرب والأعراب في المعنى

ذهب بعض أهل اللغة الى الترادف بين اللفظين وأنهما بمعنى واحد ، قال الجوهري في كتاب الصحاح : العرب جيل من الناس وهم أهل الأمصار والنسبة إلى العرب عربي وإلى الأعراب أعرابي والذي عليه العرف العام إطلاق لفظ العرب على الجميع ومثل ذلك في القاموس وغيره من كتب اللغة المعتمدة ، وذكر أبو العباس أحمد بن عبد الله الشهير بابن أبي غدة في كتابه نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب : أن العرب هم أهل الأمصار والأعراب سكان البادية وفي العرف يطلق لفظ العرب على الجميع وقال شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية في كتاب (الاقتضاء) : إن لفظ الأعراب هو في الأصل اسم لبادية العرب فإن كل أمة لها حاضرة وبادية فبادية العرب الأعراب ، وقد يقال : إن بادية الروم الأرمن ونحوهم ، وبادية الفرس الأكراد ونحوهم ، وبادية الترك التتر ونحوهم ، قال : وهذا والله أعلم هو الأصل وإن كان قد يقع فيه زيادة ونقصان ، وقال أهل التفسير : الأعراب صيغة جمع وليست بجمع للعرب على ما روى عن سيبيويه لثلا يلزم كون الجمع أخص من الواحد فإن العرب هذا الجيل المعروف مطلقا والأعراب سكان البادية منهم ولذا نسب إلى الأعراب على لفظه فقيل أعرابي وقال فريق منهم : العرب سكان المدن والقرى والأعراب سكان البادية من هذا الجيل أو مواليتهم فعلى هذا القول هما متباينان ويفرق بين الجمع والواحد بالياء فيهما ، فيقال للواحد عربي وأعرابي والجماعة عرب وأعراب وكذا أعراب وذلك كما يقال للواحد







في جاهلية وشر ، أى في حال جاهلية أو طريقة جاهلية أو عادة جاهلية ونحو ذلك فإن الجاهلية وإن كانت في الأصل صفة ولكن غاب عليه الاستعمال حتى صار اسماً ومعناه قريب من معنى المصدر . وأما الثانى فتقول : طائفة جاهلية وشاعر جاهلى وذلك نسبة إلى الجهل الذى هو عدم العلم أو عدم اتباع العلم ، فأما من لم يعلم الحق فهو جاهل جهلاً بسيطاً فإن اعتقد خلافه فهو جاهل جهلاً مركباً فإن قال خلاف الحق عالماً بالحق أو غير عالم فهو جاهل أيضاً كما قال تعالى ( وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ) وقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : « إذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل » . ومن هذا قول عمرو بن كلثوم في قصيدته :

ألا لا يجهلنَّ أحدٌ علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

أى لا يسفه أحد علينا فنسفه عليهم فوق سفههم أى نجاريهم بسفههم جزاء يربو عليه ، استعمال هذا اللفظ بهذا المعنى كثير وكذلك من عمل بخلاف الحق فهو جاهل وإن علم أنه مخالف للحق ، كما قال سبحانه ( إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ) قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم : كل من عمل سوءاً فهو جاهل وإن علم أنه مخالف للحق ، وسبب ذلك أن العلم الحقيقي الراسخ فى القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه من قول أو فعل فمتى صدر خلافه فلا بد من غفلة القلب عنه أو ضعفه فى القلب بمقاومة ما يعارضه وتلك أحوال تناقض حقيقة العلم فتصير جهلاً بهذا الاعتبار ومن هنا تعرف دخول الأعمال فى مسمى الإيمان حقيقة لا مجازاً وإن لم يكن كل من ترك شيئاً من الأعمال كافراً ولا خارجاً عن أصل مسمى الإيمان وكذلك اسم العقل ونحو ذلك من الأسماء ولهذا يسمى الله تعالى أصحاب هذه الأحوال موتى ومُحمياً وبُسماً وضالين وجاهلين ويصِفُهُم بأنهم لا يعقلون ولا يسمعون ويَصِفُ المؤمنين بأولى الألباب وأولى النهى وأنهم مهتدون وأن لهم نوراً وأنهم يسمعون ويعقلون . فإذا تبين ذلك فالناس قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فى حال جاهلية جهلاً منسوباً إلى الجاهل

فإن ما كانوا عليه من الأقوال والأعمال إنما أحدثه لهم جاهل وإنما يفعله جاهل . وكذلك كل ما يخالف ما جاءت به الرسائل من يهودية أو نصرانية فهي جاهلية وتلك كانت الجاهلية العامة فأما بعد مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم فالجاهلية المطلقة قد تكون في مصر دون مصر كما هي في دار غير الإسلام وقد تكون في شخص دون شخص كالرجل قبل أن يسلم فإنه في جاهلية وإن كان في دار الإسلام فأما في زمان مطلقاً فلا جاهلية بعد بعث محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فإنه لا تزال من أمته طائفة ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة والجاهلية المقيدة قد تقوم في بعض ديار المسلمين وفي كثير من الأشخاص المسلمين كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم : أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة . وقال لأبي ذر لما عير رجلاً بأمره « انك امرؤ فيك جاهلية » فهذه كلها جاهلية وإن كان لفظ الجاهلية لا يقال غالباً إلا على حال العرب التي كانوا عليها قبل الإسلام ، لما كانوا عليه من مزيد الجهل في كثير من الأعمال والأحكام ، روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال : إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة في سورة الأنعام « قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم وحرّموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلّوا وما كانوا مهتدين » وقد اختلف المفسرون في المراد من الجاهلية الأولى في قوله تعالى « وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَةِ الْأُولَى » فقيل : كانت في الزمن الذي ولد فيه إبراهيم عليه السلام فقد كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشى في وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال . وقال الحكم بن عتيبة<sup>(١)</sup> : كانت بين آدم ونوح وهي ثمانمائة سنة وحكيّت لهم سيرة ذميمة . وقال ابن عباس : ما بين نوح وإدريس . وقال السكبي : ما بين نوح وإبراهيم قيل إن المرأة كانت تلبس الدرع من اللؤلؤ غير مخيط الجانبين

(١) كذا في الأصل ولعله عتيبة وهو الامام الحكم بن عتيبة الكندي .

وتلبس الثياب الرقاق ولا توارى بدنّها وقالت فرقة : ما بين موسى وعيسى . وقال الثعلبي : ما بين عيسى ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم . وقال أبو العالية هي زمان داود وسليمان عليهما السلام كان المرأة قيص من الدر غير مخيط الجانبين . وكان النساء يُظهِرن ما يقبح إظهاره حتى كانت المرأة تجلس مع زوجها ورجلها فينفرد خلّها بما فوق الإزار وينفرد زوجها بما دون الإزار إلى أسفل وربما سأل أحدها صاحبه البدل . وقال مجاهد : كانت النساء يمشين بين الرجال فذلك التبرج . قال ابن عطية : والذي يظهر عندي أنه تعالى أشار للجاهلية التي أدركنها فأمرن بالنقلة عن سيرتهن فيها وهي ما كان قبل الشرع من سيرة الكفار لأنهم كانوا لا غيرة عندهم فكان أمر النساء دون حجة وجعلها أولى بالنسبة إلى ما كنّ عليه . وليس المعنى أن ثمّ جاهلية أخرى وقد أوقع لفظ الجاهلية على تلك المدة التي قبل الإسلام كما لا يخفى .

\*\*\*

### بيان فضل جنس العرب وما امتازوا به

اعلم أن كمال كل نوع إنما هو بحصول صفاته الخاصة به وصدود آثاره المقصودة منه وبحسب زيادة ذلك ونقصانه يفضل بعض أفرادها بعضاً ، إلى أن يُعدّ أحدها سماء والآخر أرضاً ، والإنسان مشارك لسائر الأجسام في الحصول في الحيز . والفضاء ، وللنباتات في الاغتذاء والنشو والنماء ، وللحيوانات المعجم في حيويته بأنفاسه ، وحركته بإرادته وإحساسه ، وإنما يتميز بما أعطى من القوة النطقية ، وما يتبعها من العقل والعلوم الضرورية ، والأعمال الصالحة المرضية ، وأهليته للنظر والاستدلال ، وترقيه بذلك في مدارج الكمال ، وعلمه بما أمكن واستحاله ، فإذا كماله إنما هو بتعقل المقولات ، واكتساب المجولات ، وبالأخلاق الحسنة التابعة للأعمال الصالحات ، فالإنسان فضل على سائر الحيوانات كلها في نفسه وجسمه ، « أما فضله في نفسه » فبالقوة المفكرة التي بها العقل والعلم والحكمة

والتدبير والرأى فإن البهائم وإن كان كلها يحس وبعضها يتخيل فليس لها فكرة ولا روية ولا استنباط المجهول بالعلوم ولا تعرف علل الأشياء ولا أسبابها وليست فى قوتها تعلم الصناعات الفكرية وإنما يتعلم بعضها بعض الصناعات المتخيلة فأقواها فى ذلك الفيل والقرود ، « وأما فضله فى جسمه » فباليد العاملة واللسان الناطق وانتصاب القامة الدال على استيلائه على كل ما أوجد فى هذا العالم ، وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله « لقد خالقنا الإنسان فى أحسن تقويم » وقوله « وصوركم فأحسن صوركم » ولم يعن الصورة التخطيطية فقط بل عناها والصورة المعقولة ولتشريفه تعالى إياه بذلك قال « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً » ومن زعم أن الإنسان خلق خلقه ناقصة عن الوحشيات من حيث إنه لم يكف للملبس كما كفيته ولم يعط سلاحاً فى ذاته كما أعطى كثير منها فنظره ناقص ، إذ قد أعطى الإنسان بدل ذلك التمييز الذى يمكنه أن يتخذ به كل ملبس وكل سلاح حسب ما يريد فيتناولوه متى أراد ويضعه متى أحب ثم لو أعطى الإنسان بعض الأسلحة التى أعطيته لم يمكنه أن يستعمل غيره كالوحشيات وأيضاً فلو أعطى ذلك لكان من الحق أن لا يعطى التمييز لأنه حينئذ كان يستغنى عنه فتبطل فائدته وفعل الله تعالى منزه عن ذلك ، إن قيل كيف قال تعالى « خلق الإنسان ضعيفاً » فاستضعفه قيل ضعفه بالإضافة إلى الملأ الأعلى لما فيه من الحاجات البدنية التى كفيها ، فإذا كان مناط الفضيلة ما ذكرناه ففضل جنس العرب على غيرهم بسبب ما اختصوا به فى عقولهم وألسنتهم وأخلاقهم وأعمالهم ؛ وذلك أن الفضل إما بالعلم النافع وإما بالعمل الصالح والعلم له مبدأ وهو قوة العقل الذى هو الحفظ والفهم وتام وهو قوة المنطق الذى هو البيان والعبارة والعرب هم أفهم من غيرهم وأحفظ وأقدر على البيان .

( أما كلهم فى الفهم ) فلائهم كانوا لا يبارون قوة ذكاء وإصابة حدس وحدة ألمعية وصدق فراسة يخبرون عن الغائب بقوة ذكائهم كأن قد شاهدوه ،





































ومن المعاني أغربها . ومن الآداب أحسنها . نخصوا من معجزة القرآن بما تجول فيه أفهامهم . وتصل إليه أذهانهم . فيُدركونه بالفطنة دون البديهة . وبالروية دون البادرة .<sup>(١)</sup> لتكون كل أمة مخصوصة بما يشاكل طبعها . ويوافق فهمها . والله ولى التوفيق .

\*\*\*

### وأما كونه العرب أممًا من غيرهم

فَلأنَّ الغالب منهم أميون . لا يقرءون ولا يكتبون . بل إن جميع عرب البوادي كذلك ومع هذا حَفِظُوا على سبيل التفصيل أيامهم وحروبهم ووقائعهم وما قيل فيها من شعر وخطب . وما جرى من المفاخرات والمناورات<sup>(٢)</sup> بين قبائلهم . وضبطوا أنسابهم وأسماء فرسانهم الذين نزلوا في ميادين حروبهم وأنهم من أى قبيلة وإلى أى أبٍ ينتهون من الآباء الأولين . وأسلافهم السابقين . وكان أحدهم يقول الشعر بلغت أبياته ما بلغت فاهم إلا أن سمعوه فانتقش في صحائف خواطرهم وتمثّل في خيالهم . وهذا مما تساوى فيه العامة والخاصة منهم والصغير والكبير والذكر والأنثى من أحيائهم . وذلك مما لا يستريب فيه أحد ولا يشك ذو نظر . وكانوا إذا جرت بينهم حادثة غريبة أو اتفقت لهم نكتة غريبة ضربوا بها الأمثال . وسارت بين القبائل تلك الأقوال . فلا تغيب هاتيك الوقائع عن أفكارهم . ولا تزول مدى الليالي والأيام عن خزائن خواطرهم . وقد دون المتأخرون ما تلقّوه من الثقافة . وما سمعوه من أفواه الرّواة . من أيامهم وأخبارهم . وأمثالهم وأشعارهم . فبلغ ذلك ما بلغ من المجامع والأسفار . حتى تجاوزت دوائر العدِّ والانحصار . هذا مع أن ذلك بالنسبة إلى ما لم يصل إليهم كقطرة من

(١) البادرة : ما يبدّر من حدثك في الغضب من قول أو فعل

(٢) نافر : معناه حاكم في النسب وسميت منافرة لأنهم كانوا يقولون عند المفاخرة : أنا اعز نفرا











































































































































































































































































































































































































































































































































































































































































































































































































